الفصل الأول

مخافة الله في الكتاب والسُّنة

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: مخافة الله في القرآن الكريم

المبحث الثاني: مخافة الله في السُّنة النبوية الشريفة

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

مخافة الله تعالى في القرآن الكريم

ورد لفظ «الخوف» واشتقاقاته مائة وإحدى وعشرين مرّة في كتاب الله العزيز، وسوف أقتصر منها على عشرة آيات، على سبيل الذكر لا الحصر لتعلّقها الوثيق بموضوع البحث، مع الشرح والتفسير من كتب التفسير المعتبرة:

الآية الأولى

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14].

قال الطبريّ متحدثاً عن خطاب الله للرسل بعد أن كذبهم أقوامهم: (هذا وعدٌ من الله مَن وَعَد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه، يقول: لمّا تمادت أمم الرّسل في الكفر، وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر

بهم من أممهم، ووعدهم النصر. وكل ذلك كان من الله وعيداً تهدّداً لمشركي قوم نبيّنا محمد ﷺ وأمراً له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه، كما صبر من كان قبله مِن أولي العزم من رسله. ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك، وعاقبته النصر عليهم، سنّة الله في الذين خلوا من قبل.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هكذا فعلي لمن خاف مقامه بين يديّ، وخاف وعيدي فاتقاني بطاعته، وتجنّب سخطي، أنصره على ما أراد به سوءً أو بغاه مكروهاً من أعدائي، أهلك عدوّه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره».

وقال: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ ومعناه ما قلت: من أنه لمن خاف مقامه بين يدّي، بحيث أقيمه هناك للحساب، كما قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:82]، ومعناه: وتجعلون رزقي إياكم أنّكم تكذبون.

وذلك أن العرب تُضِيفُ أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعت عليه، فتقول: «قد سررت برؤيتك، وبرؤيتي إيّاك» فكذلك ذلك[1].

---

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ)، جامع البيان، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، 1430/ 2009م) 7/ 426.

الآية الثانية

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 28].

قال ابن كثير[1] مُتحدّثاً عن ابنَيْ آدَمَ: قابيل وهابيل، وتوعُّد قابيل أخاه بقتله، (يقول له أخوه الرجل الصالح، الذي تقبّل الله قربانه لتقواه حين تواعده أخوه بالقتل على غير ما ذنب منه إليه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ أي: لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: من أن أصنع كما تريد أن أصنع بل أصبر وأحتسب.

قال: عبد الله بن عمرو: وايم الله، إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج يعني الورع.

ولهذا ثبت في الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا

---

(1) ابن كثير الدمشقي، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، (ت 774هـ) التفسير 1423هـ/ 2002م)، 1/ 407.

تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار»، قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**».

الآيـة الثالثة

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾

[الأنعام: 15].

قال الآلوسي[1] متحدّثاً عن مُحاوَرة سيّدنا محمد ﷺ لكفار مكّة: (أي بمخالفة أمره ونهيه أيّ عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أوليّاً، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ أي: عذاب يوم القيامة، وعظّمه لعظم ما فيه مفعول: فأورد بعضهم دلالة الآية على ما ذكر بحثاً ثم قال: وأجيب عنه بأن الخوف تعلق بالعصيان الممتنع الوقوع امتناعاً عادياً فلا تدل إلاّ على أنّه عليه الصلاة والسلام يخاف لو

(1) **الآلوسي**: هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان مجتهداً، من كتبه «روح المعاني» في التفسير، تسع مجلدات كبيرة. أنظر (حلية البشر للبيطار 3/ 250، وإبراهيم حلمي العمر لغة العرب، 3: 69).

صدر عنه وحاشاه الكفر والمعصية، وهذا لا يدلّ على حصول الخوف.

ويفهم من كلام بعضهم أن خوف المعصوم من المعصية لا ينافي العصمة لعلمه أن الله ﷻ فعّال لما يريد وأنه لا يجب عليه شيء، وفي بعض الآثار أنه عزّ شأنه قال لموسى عليه السلام: يا موسى لا تأمن مكري حتى تجوز الصراط.

وجاء في غير ما خبر أنه ﷺ كان إذا عصفت الريح يصفرّ وجهه الشريف ويقول: أخاف أن تقوم الساعة، مع أن الله تعالى أخبره أن بين يديها ظهور المهدي، وعيسى عليه السلام، وخروج الدجّال، وطلوع الشمس من مغربها إلى غير ذلك من الأمارات التي لم توجد إذا ذاك ولم تحقق بعد)[1].

(1) الآلوسي، شهاب الدين محمد (ت 1270هـ)، روح المعاني، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2)، 1426هـ/ 2005م، 3-4/ 105.

الآية الرابعة

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46].

قال الآلوسي في خطاب الله ﷻ لموسى وهارون عليهما السلام حينما أرسلهما إلى فرعون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ تعليل لموجب النهي وفريد التسلية لهما، والمراد بمعيته سبحانه كمال الحفظ والنصرة كما يقال: الله تعالى معك على سبيل الدعاء وأكّد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ وهو بتقدير المفعول، أي: ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل في كل حال ما يليق بهما من دفع الشر وجلب الخير.

وقال القفّال: يحتمل أن يكون هذا في مقابلة القول السابق ويكونان قد عنيا أننا نخاف أن يفرط علينا بأن لا يسمع منّا أو أن يطغى بأن يقتلنا فأجابهم سبحانه بقوله «إنني معكما﴿أَسۡمَعُ﴾ أي كلامكما فأسخره للاستماع، ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعاله فلا أتركه يفعل بكما تكرهانه فقدر المفعول أيضاً لكنه كما ترى، وقال الزمخشري: جائز أن لا يقدر شيء، وكأنه

قيل: أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر، وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ[1].

(1) الآلوسي، روح المعاني، 6/ 511.

obeikandl.com

الآية الخامسة

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:112].

قال الآلوسي: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي انقاد لما قضى الله تعالى وقدر، أو أخلص له نفسه أو قصده فلم يشرك به تعالى غيره، أو لم يقصد سواه فالوجه إما مستعار للذات وتخصيصه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء ومعدن الحواس؛ وإمّا مجاز عن القصد، لأن القاصد للشيء مواجه له، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ حال من ضمير ﴿أَسْلَمَ﴾ أي: والحال أنه محسن في جميع أعماله، وإذا أريد بما تقدّم الشرك يؤول المعنى إلى (آمن وعمل الصالحات) وقد فسّر النبي ﷺ الإحسان بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»؛ ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ أي: الذي وعد له على ذلك لا الذي يستوجبه كما قاله الزمخشري رعاية لمذهب الاعتزال، والتعبير عمّا وعد بالأجر إيذاناً بقوة ارتباطه بالعمل، حال من﴿أَجْرُهُۥ﴾ والعامل فيه معنى الاستقرار، والعندية للتشريف، والمراد عدم الضياع

والنقصان، وأتى- بالرب- مضافاً إلى ضمير (من أسلم) إظهاراً لمزيد اللطف به وتقريراً لمضمون الجملة)[1].

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: الخوف هو الفزع في المستقبل، والحزن ضد السرور مأخوذ من الحزن، وهو ما غلظ من الأرض، فكأنه ما غلظ من الهمّ، ولا يكون إلاّ في الأمر الماضي على المشهور، ويؤول حينئذٍ نحو ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف:13] بعلم ذلك الواقع؛ وقيل: إنّه والخوف كلاهما في المستقبل، لكن الخوف استشعارهم لفقد مطلوب، والحزن استشعارهم لفوت محبوب، وجعل هنا نفي الخوف كناية عن نفي العقاب، ونفي الحزن كناية عن نفي الثواب وهو أبلغ من الصريح.

وأكد لأنها كدعوى الشيء ببيّنة، والمعنى- لا خوف عليهم فضلاً عن أن يحلّ بهم مكروه، وفيه إشارة إلى أنه يدخلهم الجنّة التي هي دار السرور والأمن لا خوف فيها ولا حزن، وحينئذٍ يظهر التقابل بين الصنفين في الآيتين، وقال بعض الكبراء: خوف المكروه منفي عنهم مطلقاً. وأمّا خوف الجلال ففي غاية الكمال والمخلصون على خطر عظيم،

---

(1) الآلوسي، روح المعاني، 1/ 359.

وقيل: المعنى- لا خوف عليهم، من الضلالة في الدنيا، ولا حزن من الشقاوة في العقبى، وقدّم انتفاء الخوف لأنّ انتفاء الخوف فيما هو آت أكثر من انتفاء الحزن على ما فات)[1].

الآية السادسة

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

قال الآلوسي: (الأولياء جمع ولي من الولي بمعنى القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولي أي قرب؛ والمراد بهم خلّص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى، ويفسّر الولي بالمحبّ وبين المعنيين تلازم، وجاء بمعنى النصير ويشير كلام البعض إلى صحّة اعتبار هذا المعنى هنا، قيل: والمعنى ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ من فوات مطلوب في جميع الأوقات، أي: لا

(1) الآلوسي، روح المعاني، 1/ 240.

يعتريهم ما يوجب ذلك أصلاً لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً بل يستمرون على النشاط والسرور، كيف لا واستشعار الخوف استعظاماً لجلال الله تعالى واستقصاراً للجدّ والسّعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين، ويرشد إلى ذلك غير ما خبر وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]. وإنما لا يعتريهم ذلك لأنّ مقصدهم ليس إلاّ الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزُلفى، وذلك ممّا لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد الإلهي، وأمّا ما عدا ذلك من الأمور الدنيويّة المتردّدة بين الحصول والفوات فهي عندهم أحقر من ذبالة عند الحجاج بل الدنيا بأسرها في أعينهم أقذر من ذراع خنزير ميت بال عليه كلب في يد مجذوم، فهيهات أن تنتظم في سلك مقصدهم وجوداً وعدماً حتى يخافوا من حصول خسارها أو يحزنوا من فوات نافعها.

وقيل: إن المراد نفي استيلاء الخوف عليهم ونفي الحزن ومفاد ذلك اتصافهم بالخوف في الجملة، ففيه إشارة إلى أنهم بين الرجاء والخوف غير آيسين ولا آمنين).

الآية السابعة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

قال الآلوسي: (أي: إن الذين جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الدين التي هي منتهى العمل، ﴿ ثُمَّ ﴾ للتراخي الرتبي فالعمل متراخي الرتبة عن التوحيد، وقد نصّوا على أنه لا يعيد بدونه، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوات محبوب، والمراد استمرار النفي)[1].

(1) الآلوسي، روح المعاني، المجلد التاسع (13-14) ص: 173.

الآية الثامنة

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]

قال الآلوسي: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ نهيٌ عن سائر أنواع الإفساد كإفساد النفوس، والأموال، والأنساب، والعقول، والأديان؛ ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: إصلاح الله تعالى لها وخلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين وبعث فيها الأنبياء بما شرعه من الأحكام ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: ذوي خوف من الردّ لقصوركم عن أهلية الإجابة، وطمع في إجابته تفضلاً منه، وقيل: خوفاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه.

وقال ابن جريج: المعنى خوف العدل وطمع الفضل.

وعن عطاء: خوفاً من الميزان وطمعاً في الجنان.

وأصل الخوف: انزعاج القلب لعدم أمن الضرر؛ والطمع: توقع محبوب يحصل به.

وقيل: لمّا كان الدعاء من الله تعالى بمكان كره وقيّده أولاً بالأوصاف الظاهرة وآخراً بالأوصاف الباطنة.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أعمالهم، ومن الإحسان في الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع، أنّ ذلك على حذف مضاف، أي: إنّ مكان رحمة الله تعالى قريب فالإخبار إنما هو عن المكان وهو مذكّر.

واختار بعضهم تفسير الرحمة هنا بالإحسان لمكان المحسنين﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن:60] ولعلّه يعتبر شاملاً للإحسان الدنيوي والأخروي. ووجب القرب- على ما قيل- وجود الأهلية بحسب الحكمة مع ارتفاع الموانع بالكليّة. وفسّرها ابن جبير بالثواب، والمتبادر منه الإحسان الأخروي.

ووجه القرب بأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلكم كان الموت أقرب إليه من الحياة فلا يكون بين المحسن والثواب في الآخرة إلا الموت، وكل آت قريب)[1].

---

(1) الآلوسي، روح المعاني، المجلد الثالث 3-4، ص 379.

الآية التاسعة

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمٰن: 46].

قال الآلوسي: (شرع في تعديد الآلاء التي تفاض في الآخرة، ﴿مَقَامَ﴾ فالقيام هنا مثله في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33] وهذا مروي عن مجاهد وقتادة، ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ قيام ربّه وكونه مهيمناً عليه مراقباً له حافظاً لأحواله.

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ جوّز أن يقال: جنّة لعقيدته وجنة لعمله، أو جنّة لفعل الطاعات وجنّة لترك المعاصي، أو جنّة يُثابُ بها وأخرى يتفضل بها عليه، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية، وقال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم. أخرج أحمد والنسائي والطبراني والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وابن أبي شيبة وجماعة، عن أبي الدرداء: «أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: الثانية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال الثالثة: ﴿ وَلِمَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: «نعم وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء».

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في «العظمة» عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ﷺ، ذكر ذات يوم وفكر في القيامة، والموازين، والجنة والنار، وصفوف الملائكة، وطيّ السموات، ونسف الجبال، وتكوير الشمس وانتثار الكواكب فقال: وددت أني كنت خضراً من هذه الخضر تأتي عليّ بهيمة فتأكلني وأني لم أخلق، فنزلت: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[1].

---

(1) الآلوسي، روح المعاني، المحلد التاسع، 13-14/ 115.

الآيـة العاشـرة

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41].

قال الآلوسي: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطاقة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: زجرها وكفها عن الهوى المردي وهو الميل إلى الشهوات وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات ولم يتعلّق بمتاع الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً بوخامة عاقبتها. وعن ابن عباس ومقاتل إنه الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يديّ ربه سبحانه فيخاف فيتركها، وأصل الهوى مطلق الميل وشاع في الميل إلى الشهوة وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية وفي الآخرة إلى الهاوية ولذلك مدح مخالفه.

وقال الفضيل: أفضل الأعمال مخالفة الهوى، وقال أبو عمران الميرتلي:

فخالف هواها وعصا إن من يطع هوى نفسه تنزع به شَر منزع.
ومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع أي مصرع.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ والظاهر أن هذا التفصيل عام في أهل النار وأهل الجنة[1].

Obeikandi.com

(1) الآلوسي، روح المعاني، المجلد العاشر، 15/ 237.

المبحث الثاني

مخافة الله في السُّنّة النبويّة الشريفة

ورد لفظ «الخوف» ومشتقاته، مائة وعشرة مرّات في الأحاديث النبوية الشريفة، وسأذكر أحاديث منها مع الشرح والتوضيح من مصادر شروح الحديث، وقد أفرد الإمام البخاري (باب: الخوف من الله عز وجل)، قال العسقلاني: (هو من المقامات العليّة، وهو من لوازم الأيمان، قال الله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44] وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممّن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50] والأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]، وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يُطالبون بما لا يُطالب به غيرهم، فيراعون تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة، لقوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: 24] أو خوفه من نقصان

منزلته، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله. وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الذنب والتصديق بالوعيد عليه، وأن يُحرم التوبة، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يُغفر له[1].

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[2].

قال ابن حجر العسقلاني: (قوله: «سبعة» ظاهره

(1) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ت 852هـ) كتاب الرقائق، باب 25، 12/ 266 (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1410هـ/ 1989م).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ح (660).

اختصاص المذكورين بالثواب المذكور، ووجهه الكرماني بما محصّله: أنّ الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الرب أو بينه وبين الخلق، **فالأول** باللسان وهو الذكر، أو بالقلب وهو المعلّق بالمساجد، أو بالبدن وهو الناشئ في العبادة. **والثاني** عام وهو العادل، أو خاص بالقلب وهو التّحابّ، أو بالمال وهو الصدقة، أو بالبدن وهو العفّة.

وقوله: «**ورجل دعته امرأة ذات منصب**» والمراد بالمنصب الأصل أو الشرف ويطلق على المال أيضاً، وهو وصفها بأكمل الأوصاف التي جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصّل فيه وهو المنصب الذي يستلزمه الجاه والمال مع الجمال وقل من يجتمع ذلك فيها من النساء، والظاهر أنها دعته إلى الفاحشة وبه جزم القرطبي؛ قوله: «**فقال إني أخاف الله**» والظاهر أنه يقول ذلك بلسانه وإما ليزجرها عن الفاحشة أو ليعتذر إليها، ويحتمل أن يقوله بقلبه، قال عياض قال القرطبي: إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ومتين تقوى وحياء[1].

(1) **العسقلاني**، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ت 852هـ) كتاب الأذان، باب 36، ح (660).

الحديث الثاني

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض فُضُلاً عن كُتّاب النّاس فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله تنادوا هلّموا إلى بغيتكم فيجيئون، فيحفّون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله: أي شيءٍ تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون تركناهم يحمدُونَكَ ويمجّدونك ويذكرونك. قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون لا. قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وأشد تمجيداً وأشدّ لك ذكراً، قال فيقول وأي شيء يطلبون؟ قال فيقولون يطلبون الجنّة، قال فيقول فهل رأوها؟ قال فيقولون لا. قال فيقول فكيف لو رأوها؟ قال فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ لها طلباً وأشدّ لها حرصاً، قال فيقول فمن أي شيء يتعوّذون؟ قالوا يتعوّذون من النّار، قال فيقول وهل رأوها؟ فيقولون لا. قال فيقول فكيف لو رأوها؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ منها هرباً وأشدّ منها خوفاً وأشدّ منها تعوّذاً. قال فيقول فإني أشهدكم إنّي قد غفرت لهم. فيقولون إنّ فيهم فلاناً

الخطّاء لم يُردهم إنما جاء لحاجة. فيقول هم القوم لا يشقى لهم جليس»[1].

قال الأحْوَذيّ[2]: (ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنّها التي تشتمل على ذكر الله بأنواعه الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة وفي دخول قراءة الحديث النبوي، ومدارسة العلم الشرعي، ومذاكرته، والاجتماع على صلاة النّافلة في هذه المجالس.

وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل تعالى به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر)[3].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (ت 279هـ). باب: ما جاء إن لله ملائكة سياحين في الأرض، ح (3542)، 12/ 28 (دار الفكر، بيروت، لبنان، 1425هـ-1426هـ/ 2005م).

(2) **الأحوذي**: هو محمد بن عبد الرحيم بهادر المباركفوري، ولد بقرية مباركفور بالهند، وقرأ على جماعة، وأسس عدة مدارس، من آثاره «**تحفة الأحوذي**». أنظر (كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 3/ 394 (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(3) الأحوذي، ابن عبد الرحيم المُباركفُوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. (ت 1353هـ)، باب 12، ح (3834) 10/ 42، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م).

وفي الحديث إشارة إلى بيان الخوف منه ﷻ وثمرته حصول الرجاء والأنس به من تفضله ومنّه على عباده بالمغفرة العامّة الشاملة

(قال الحافظ في الفتح أخرج جعفر في الذكر عن الحسن البصري قال: « بينما قوم يذكرون الله إذ أتاهم رجل فقعد إليهم، قال فنزلت الرحمة ثم ارتفعت ، فقالوا: ربّنا فيهم عبدك فلان، قال: غشوهم رحمتي، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشّقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكنّ التصريح بنفي الشّقاء أبلغ في حصول المقصود)[1].

---

(1) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات. ، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح (6045).

الحديث الثالث

عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «**كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مُت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائفٍ. ففعلوا به، فجمعَهُ الله ثم قال: ما حملك على الذين صنعت؟ قال: ما حملني عليه إلا مخافتك. فغفر له**»(1).

قال العسقلاني: (قوله: باب الخوف من الله عزّ وجلّ) هو من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28] وقال رسول الله ﷺ «**أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**»، وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50] والأنبياء بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الخوف من الله، ح (6480).

﴿أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]؛ وإنما كان خوف المقربين أشدّ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفُهُ من سوء العاقبة لقوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24] أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله. وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع، فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربّه أن يدخله فيمن يغفر له».

ومعنى الحديث: إن بعث الله الرجل يوم القيامة على هيئة يعرفه كل أحد فإذا صار رماداً مبثوثاً في الماء والريح لعله يخفى؛ وقد ذكر ابن الملقن في شرحه أن الرجل قال ذلك لما غلبه من الخوف وغطى على فهمه من الجزع ليعذر في ذلك»[1].

---

(1) العسقلاني، فتح الباري، كتاب الرقاق، باب: الخوف من الله، 13/ 7797.

الحديث الرابع

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت[1] السماء وحُقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتكم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُعدات[2] تجأرون[3] إلى الله تعالى» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[4].

قال المناوي[5]: (و تعلمون ما أعلم)أنّ العبد إما

---

(1) «أطّت» «وتئط» والأطيط: صوت الرحل والقتب وشبههما، ومعناه أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطّت.

(2) الصعدات: الطرقات.

(3) تجأرون: تستغيثون.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ح (2319)، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب 9: في قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلاً**».

(5) **المناوي**: هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين، المناوي، القاهري (952هـ/ 1545م- 1031هـ/ 1622)، له: «**الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**»، تلقن الذكر من عبد الوهاب الشعراني، أنظر (الحنفي، عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ص: (560).

محاسب فهو معاقب وإما معاتب والعتاب أشد من ضرب الرقاب، فإذا نظر العاقل إلى تقصيره في حق ربه الذي رادف عليه إنعامه في كل طرفة عين وأنه مع ذلك يستره ويسامحه ذاب كما يذوب الملح.

وفي بعض الكتب القديمة قال داوود يا رب أخبرني ما أدنى نعمتك عليّ قال تنفس، فتنفس فقال هذا أدناها وعبد الله عابد خمسين عاماً فأوحي إليه قد غفرت لك، قال يا رب أنا لم أذنب فأمر الله عرقاً فضرب عليه فلم يصم ولم يصل فسكن فنام فأوحى الله إليه أعبادتك الخمسين سنة تعدل سكون العرق.

وفي سنن أبي داوود عن الحبر مرفوعاً: إن الله لو عذب أهل سماواته لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، (ولخرجتم إلى الصعدات) جمع صعدة وهو وجه الأرض وقيل التراب والمراد هنا في الحديث: لخرجتم من منازلكم إلى الصحراء، «تجأرون» ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، فينبغي كون خوف المرء أكثر من رجائه سيما عند غلبة المعاصي واشتهارها ولهذا كان ابن أبي ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمي لم تلدني،

فتقول له أمه: إن الله أحسن إليه هداه إلى الإسلام، فيقول: أجل لكنه بيَّن الله لنا أنَّا واردوا جهنم ولم يُبيّن أنّا صادرون[1].

وفي قوله ﷺ (قليلاً) أولاً و(كثيراً) ثانياً إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده من الخوف ما ينزجر به عن المخالفة، ويكون تارة في مظهر الجلال، (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) أي: لشدة ما كان يحصل لكم من الوجل (ولخرجتم إلى الصعدات) أي: الطرقات (تجأرون إلى الله تعالى) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة إلى الله تعالى.

أما معنى (أطّت السماء. . .) أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت أي حصل الصوت منها كما يحصل من الرجل إذا ركب عليه[2].

---

(1) المناوي، محمد عبد الرؤوف، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشر النذير، (ت 1031هـ) 5/ 402، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1430هـ/ 2009م، ط 4.

(2) الصديقي، محمد بن علاّن، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. (ت 1057هـ)، 2/ 243 (دار الكتب العلمية، لبنان، ط3- 1430هـ/ 2009م).

الحديث الخامس

وعن أنس ﷺ عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ، خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، ولهم خنين[1]. وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ أصحابه شيء فخطب، فقال «**عرضت علي الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**» فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خنين.

قال الصديقي[2]: (عرضت علي الجنة والنار) قال

(1) مسلم، ابن الحجاج القيشري النيسابوري (ت 261هـ) صحيح مسلم، وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل عدل عن عدل عن رسول الله ﷺ، تح: صدقي جميل العطّار: (طبعة مصورة 1424هـ/ 2004م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت)، 12/ 46 باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ولا يتعلق به تكليف وما يقع ونحو ذلك، كتاب الفضائل، ح (6119).

(2) **الصدّيقي**: هو محمد علي بن محمد علاّن بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة، من مؤلفاته «**دليل الفالحين شرح رياض الصالحين**» في التفسير، أنظر (الكتبخانة 2: 140 و 241. خلاصة الأثر 4: 184 وإيضاح المكنون 1: 578.

القاضي عياض: قال العلماء: يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما كما فرّج له عن بيت المقدس حتى وصفه؛ أما مذهب أهل السنّة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم، (فلم أر كاليوم في الخير والشر) **أي**: لم أر خيراً أكثر مما رأيته اليوم في الجنة، ولا شراً أكثر مما رأيته في النار، (ولو تعلمون ما أعلم) مما رأيته اليوم (لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) أي لحصل من الإشفاق البليغ ما يقل ضحككم ويكثر بكائكم، (فما أتى) **أي**: جاء (على أصحاب النبي ﷺ يوم أشد منه) في إزعاجهم بالموعظة وتأثيرهم بها (غطوا) **أي**: ستروا (رؤوسهم) بالغطاء (الخنين) وهو البكاء مع غنة وانتشاق بالصوت وهو نوع من البكاء دون انتحاب.

الحديث السادس

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[1].

قال الصديقي: (من خاف) أي خاف البيات، (ومن أدلج) **أي**: هرب في أول الليل (أدلج بلغ المنزل) الذي يأمن فيه البيات. قال العاقولي: هذا مثل طالب الآخرة وكون الشيطان على طريقه، فإن تبتل بالطاعة وصبر مدة أيامه القلائل أمن فيه الشيطان. وقال المظهري: **أي**: من خاف الله فليهرب من المعاصي إلى طاعته تعالى، (ألا إن سلعة الله غالية) **أي**: رفيعة القيمة (الجنة) وهي عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال.

أما معنى «أدلج» : **أي**: سار من أول الليل، وعبارته أدلج

---

(1) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، ح (2374)، 8/ 489، تح: جميل العطاء، طبعة مصورة (1425هـ/ 2005م)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

إدلاجاً مثل أكرم إكراماً: سار الليل كله فهو مدلج والمراد التشمير في طاعة الله، أي: إنه تمثيل لذلك وإلا فلا مسافة حسية تقطعها بسيرك ليلاً، إنما هي المجاهدات الموروثة بالفضل الإلهي للمشاهدات[1].

(1) الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، 2/ 247.

obeikandl.com

الحديث السابع

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضّرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنّم**»[1].

قال الصّديقي: (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله) «من» فيه تعليلية: أي: لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم إلا تحلة القسم. وقال العاقولي: لعل المراد به العارف به تعالى وهو العالم العامل لقوله تعالى (إنما) وبالجملة فلا بد من نوع معرفة ليتصور الخشوع والبكاء ممن لا يعرفه بوجه ممتنع: (يخشى الله من عباده العلما،) وفيه إشارة إلى سبب البكاء.

وقوله (حتى يعود اللبن في الضرع) أي يدخل من مسامه إليه وذلك مُحال عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من الله

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، ص: 501 وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي بعود اللبن إلى الضرع؛ أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه؛ وإن شاء حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه ثم أدخله الجنة لإيمانه بمحض فضله، (ولا يجتمع غبار في سبيل الله) المراد جهاد أعداء الدين لوجه الله تعالى (ودخان جهنم) ظاهره أن الجهاد في سبيل الله مقتضى لسلامة المجاهد من العذاب بالوعد الذي لا يخلف فيحمل على ما إذا مات فيه أو بعده ولم يقترف موبقاً يصده عن ذلك)[1].

(1) الصديقي، دليل الفالحين، 2/ 296.

obeikandl.com

الحديث الثامن

عن عبد الله ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطْفَة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشقي أو سعيد، فوالله إن أحدكم أو: الرجل ليعملُ بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهلِ النار فيدخلها. قال آدم- أحد رُواة الحديث- «إلا ذراع»**»[1].

قال الصديقي بعد توضيحه وشرحه لأطوار خلق الإنسان في بطن أمه، وبعدها إرسال ربّ العزّة للملك فينفخ فيه الروح بعد كمال الجسم وخلقه ثم يأمر الله سبحانه وتعالى الملك بكتابة الأحكام المقدرة له على جبهته أو بطن كفه أو ورقة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب (1)، ح (6594).

تعلق بكفة، إن الكتابة التي في أمّ الكتاب تعم الأشياء كلها وهذا ما خصّ به كل إنسان، إذ لكل سابقة وهي ما في اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر، ومتوسط أشير إليها في الحديث (بكتب) (رزقه) ما ينتفع به حلالاً كان أو حراماً مأكولاً أو غيره (وأجله) **أي**: مدة عمره أو الوقت الذي ينقرض فيه (وعمله) من صلاح أو ضده، (وشقي أو سعيد) خبر لمبتدأ تقديره هو، والتقدير: وأنه شقي أو سعيد، والسعادة: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخيرات وتقابلها الشقاوة: وقدّمت ليعلمَ أنها كالخير من عند الله تعالى.

وحمل الإنسان أطواراً في بطن أمّه والقدرة الصالحة لخلقه جملةً في لمحةٍ لدفع المشقة عن الأم لأنها غير معتادة، فربما ظنته علّة، فيدرج في حال إلى آخر لتعتادها، ولإظهارها قدرة الله سبحانه ليعبدوه ويشكروه إذ قلبهم من أخس الأشياء ومستقذرها إلى أحسن صورة محلّى بالعقل؛ ولإرشاد الناس إلى كمال قدرته تعالى على الحشر والنشر، إذ من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة قادرٌ على إعادته ونفخ الروح به لغير ذلك.

(فوالله) أي فإذا كانت السعادة والشقاوة مكتوبين فوالله،

أكّد بالقسم لتأكيد أمر القضاء (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة) من الإنابة والاستغفار وعمل الأبرار (فيدخلها) والخاتمة نسخت السابقة، (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى) أي إلى أن ينتهي إلى أمد، (ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين) أراد به التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه الجنة، (فيسبق عليه الكتاب) أي: يغلب عليه ما كُتِبَ بعَلَيْه قبل النفخ من الشقوة (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) بفضل القضاء السابق المحتوم لشقوته.

وبذر السعادة والشقاوة قد اختفى في الأطوار الإنسانية، ولا يظهر إلا إذا انتهى إلى الغاية الإيمانية أو الطغيانية. ففي الحديث إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال والركون إليها، بل بالخاتمة، وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة: «وإنما الأعمال بالخواتيم» فلا يقطع لأحد معين بدخول الجنة إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها، فعليك أن لا تتكل على عمل ولا تعجب به واسأله الله حسن الخاتمة واستعذ من سوئها، فلا تقل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ

أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30] مُخْبر بأن من أخلص عمله أمنَ من سوئها. لأنا نقول: يجوز أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسنه.

ثم قال القاضي عياض: الأول كثير، وأما الثاني فقليل لأن الله يستحي بأن ينزع السر من أهله، وفيه إثباتُ القدر، وهو مذهب أهل الحق، وأن جميع ما في الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضرر)[1].

(1) الصّديقي، دليل الفالحين، 2/ 234.

obeikandl.com

الحديث التاسع

عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً، فصلَّى على أهل أُحُدْ صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «**إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيد عليكم؛ وإنّي والله لأنظر إلى حوضي الآن؛ وإنّي قد أعطيت مفاتيحَ خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإنّي والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**».

وفي رواية: «**ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**» قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[1]. (رواه مسلم).

قال الصّديقي: («إنّي فَرَط لكم» بفتح الفاء والراء وبالطاء المهملة وهو: من سبق الركب إلى المنزل لتهيئة المصالح من تقريب الحطب وإصلاح الحياض. وهكذا أنا بين أيدي أمّتي مهيّء لمصالحهم الأخروية بالشفاعة للعصاة والشهادة للمطيعين، «وأنا شهيد عليكم» كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: ما يُحذرُ من زهرة الدنيا والتّنافس فيها، ح (6427).

جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] «**وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**» **أي**: كُشف له حينئذٍ فعاينه ببصره فأخبر عنه، وفيه إثبات الحوض وأنّه موجود الآن كالجنة والنار، «**وإنّي أعطيت مفاتيح خزائن الأرض**» **أي**: أنه أعطى ما في الوجود من الخير وإنما وصل لأمته بواسطته وإلى هذا المعنى أشار البوصيري حيث يقول: «فإن من وجودك الدنيا وضرتها» : «**وإنّي والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي**» أي لا أخاف عليكم حدوث الشرك فيكم لأن نور الإيمان إذا خالط بشاشة القلب لا يخرج منه، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أوصى بدوام الإيمان وشرائعه في الأمّة المحمدية إلى قرب قيام الساعة، «**ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**» **أي**: تتنافسوا فيها وفي الحديث برواياته، البشارة بدوام الإسلام في الأمة وعدم تطرّق بالإشراف إليها، وفيه النهي عن التنافس في الدنيا، ومن لازمه الأمر بالزهد فيها والإعراض عن زهراتها، فإن التنافس فيها سبب للهلاك الديني والدنيوي: «والمراد بالصلاة على قتلى أحد» الدعاء لهم، لا الصلاة المعروفة[1].

(1) الصّديقي، دليل الفالحين، 4/ 624.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «عن النبي ﷺ يروي عن ربّه عزّ وجلّ قال: «**وعزّتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذ خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»[1].

قال الزبيدي[2]: (قال العراقي، رواه ابن حبّان في صحيحه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزّهد وابن أبي الدنيا في «كتاب الخائفين» من رواية الحسن مرسلاً.

قال الزبيدي: وروى أبو نعيم في «الحلية» من حديث

(1) ابن حبّان، محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان، ح (642) (ت 354هـ)، الصحيح، باب: حسن الظن بالله تعالى، 3/ 79، تح: د. أحمد شاكر، (دار المعارف، الطبعة مجهولة، 1372هـ/ 1952م).

(2) **الزَّبيديُّ**: هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحُسيني، المرتضى أبو الفضل، علاّمة باللغة والحديث، منسوب إلى زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، واشتهر فضله. له: «**تاج العروس في شرح القاموس**»، توفي سنة 1205هـ بمصر. أنظر: (الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار 2/ 196، والكتّاني، فهرس الفهارس 1/ 398).

شداد بن أوس: «قال الله عزّ وجل: وعزّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمِنَني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي». وأما حديث أبي هريرة؛ فقد رواه كذلك ابن مبارك في الزهد، وكلّهم من رواية سلمة عنه؛ ومرسل الحسن رواه كذلك الحكيم في «النوادر» ولكن لفظه: «يقول الله وعزّتي»، وعند ابن عساكر من حديث أنس: «يقول الله عزّ وجلّ وعزّتي وجلالي وارتفاعي فوق خلقي لا أجمع على عبد خوفين، ولا أجمع لعبدي أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته اليوم ومن أمنني في الدنيا أخفته اليوم»[1].

(1) الزبيدي: محمد بن محمد الحسيني، إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين، (ت 1205هـ)، 11/ 413، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1430هـ/ 2009م.